تفسير

سورة الفلق[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ . قال الكلبي[٢] ومقاتل[٣] : «إن لبيد بن أعصم اليهودي سحر النبي ﷺ في إحدى عشرة عقدة في وتر ، ودسَّه في بئر يقال لها ذَرْوَان[٤] ، فمرض رسول الله ﷺ ، (واشتد)[٥] عليه[٦] ذلك ثلاث ليال ، فنزلت المعوذتان لذلك ، وأخبره جبريل بمكان السحر ، فأرسل إليها عليّاً -رضي الله عنه- فجابها ، فقال جبريل للنبي ﷺ :

---

(١) تسمى سورتا الفلق والناس المعوذتين ، والمشققتين ؛ أي المبرئتين من النفاق . انظر : الإتقان ١/ ١٥٩ ، والنكت والعيون ٦/ ٣٧٣ . وفيها قولان : أحدهما أنها مدنية ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وقتادة . والثاني أنها مكية ، رواه كريب عن ابن عباس ، والحسن ، وعطاء ، وعكرمة ، وجابر . قال ابن الجوزي : «الأول أصح» . انظر : المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٨ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٢ .

(٢) ورد في معالم التنزيل ٤/ ٥٤٦ ، ولباب النقول ٢٣٨ ، ٢٣٩ من طريق الكلبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

(٣) تفسير مقاتل ٢٥٧أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٤٦ .

(٤) بياض في (ع) .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) في (أ) : (على) .

حُلَّ عقــدةً واقرأ آيةً ، ففعــل ، وجعل كلما يقرأ آيــة انحلت عقدة ، وذهب عنه ما كان يجده» . وهذه القصة صحيحة[١] . . .

والمعتزلة تنكرها[٢] ، ويقولون : «لا يجوز أن يكون النبي ﷺ مسحوراً ؛ لأن الكفار كانوا يعيِّرونه بذلك ، فلو قلنا : إنه سُحر ، وجوَّزنا ذلك كنَّا قد جاوزنا ما عيِّر به» .

---

(١) وردت في صحيــح البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب (١١) ٤/ ٤٨ ، ٤٩ ح ٥٧٦٣ ، ٥٧٦٥ ، باب (٤٧) ، (٤٩) ، (٥٠) ، ٢/ ٤٣٧ ح ٣٢٦٨ من طريق هشــام عن أبيه ، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قال : «كان رســول الله ﷺ سُحِرَ حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن» . قال سفيان : «وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا» . فقال : «يا عائشة ، أعلمت أن الله قد أفتاني في ما استفتيه فيه ؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي ، فقال الذي عند رأسي للآخر : ما بال الرجل ؟ قــال : مطبوب . قال : ومَن طبَّه ؟ قال لبيد بن أعصــم رجل من بني زُريق حليف ليهود كان منافقاً . قال : وفيمَ ؟ قال في مشط ومشاطة . قال : وأين ؟ قال في جُف طلعة ذكر تحت رعوفة في بئر ذَرْوان . قالت : فأتى النبي ﷺ البئر حتى اســتخرجه . فقال هذه البئر التي أُريتها ، وكأن ماءها نقاعة الحناء ، وكأن نخلها رؤوس الشــياطين . قال : فاستخرج . قالت : فقلت أفلا ـ أي تنشرت ـ فقال : أما والله فقد شــفاني ، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرّاً» . وأورد مســلم الرواية مختصرةً في صحيحه في كتاب الســلام ، باب (١٧) ٤/ ١٧١٩ ح ٤٣ ، ٤٤ . ومما ورد في الصحيحين يتبين أنه ليس فيه ما يدل على نزول المعوذتين على الرسول ﷺ عندما سُــحر . قال ابن حجر في فتح الباري ١٠/ ٢٢٥ : «وقد وقع في حديث ابن عباس في ما أخرجه البيهقي في الدلائل بســند ضعيف في آخر قصة الســحر الذي سُــحر به النبي ﷺ أنهم وجدوا وتراً فيه إحدى عشرة عقدة ، وأُنزلت سورة الفلق ، والناس ، وجعل كلَّما قرأ آية انحلت عقده . وأخرجه ابن ســعد بســند آخر منقطع عن ابن عباس : أن علياً وعماراً لمّا بعثهما النبي ﷺ لاســتخراج الســحر وجدا طلعة فيها إحدى عشرة عقدة فذكر نحوه» . وقد وردت قصة ســحر النبي ﷺ ، وأن ذلك كان ســبباً في نزول المعوذتين في أسباب النزول ٤١٠ ، تحقيق أيمن صالح ، ولباب النقول ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٩٢أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٦ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٢ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٣/ ٣٠١ . قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٥ تعليقاً على رواية الثعلبي : «هكذا أورده بلا إسناد ، وفيه غرابة وفي بعضه نكارة شديدة ، ولبعضه شواهد» ، والدر المنثور ٨/ ٦٨٧ منسوباً إلى ابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل عن عائشة وابن عباس .

(٢) قال المازني : «أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث ، وزعموا أنه يحط من منصب النبوة ويشكك فيها ، ثم قال : وهذا كله مردود» . فتح الباري ١٠/ ٢٢٦ ، وقال ابن القيم : «وهذا الحديث ـ يعني الذي في الصحيح ـ =

والجـــواب : أن هذه القصة قد ثبتت (قصتهـــا)[١] وصحَّتها عند المفسرين ، وأهـــل النقـــل ، والعلم بالرواية ، ودلَّت هذه الســـورة على ذلـــك ، وهو قوله : ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ ؛ يعني اللاتي ينفثن بالرقي والعزائم ، فلولا أن لشرهن تأثيراً وإلَّا لم يؤمر بالاستعاذة من شرهن .

ولا يجوز أن يكون النبي ﷺ مســـحوراً على الوجه الذي عيَّره به الكفار[٢] ، فإنهـــم كانوا يريدون أنه مخدوع مجنون سُـــحر بتخيل عقلـــه ، فلذلك خالفهم في الدعاء إلى توحيد الله ، فأمَّا أن يكون مسحوراً بوصفٍ يجده في بدنه ، فذلك ما لا ينكره أحد ، ولم يكن الله ليســـلِّط عليه شيطاناً ، أو جنيّاً ، أو إنسيّاً في ما يؤدي إلى الضرورة في الدين ، والنبوة ، ولا الرسالة ، وبيان الدعوة . فأمَّا على الإضرار ببدنه فقد صحَّ أن وجهه شُـــجَّ[٣] ، وأن رباعيته[٤] كُسرت يوم أُحد[٥] ، ولم يقدح ذلك في نبوته ، كذلك السحر ، والخيلة ، والتوصل بالرقي الإضرار ببدنه لا ينكر[٦] .

= ثابـــت عند أهل العلم بالحديث يتلقـــى بالقبول بينهم لا يختلفون في صحتـــه ، وقد اعتاص على كثير من أهل الكلام وغيرهم ، وأنكروه أشد الإنكار ، وقابلوه بالتكذيب» . انظر : تفسير المعوذتين ٥٧ ، ٥٨ ، تحقيق مصطفى العدوي ، وقد أنكره أيضاً الجصاص في أحكام القرآن ١/ ٤٩ .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) نحـــو ما جاء في قوله تعـــالى : ﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الفرقان :٨] ، وقوله تعالى : ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ [الشعراء :١٥٣ ، ١٨٥] .

(٣) شج : حصل جرح في رأســـه الشريف ، والجراحة إذا كانت في الوجه أو الرأس تسمى شجة . انظر : حاشية صحيح مسلم ٣/ ١٤١٧ .

(٤) الرباعية : الســـن التي تلي الثنية من كل جانب ، وللإنسان أربع رباعيات . انظر : شرح صحيح مسلم ١٢/ ٣٩٠ .

(٥) أخرج مســـلم في صحيحـــه في كتاب الجهاد والســـير ، بـــاب (٣٧) ٣/ ١٤١٧ ح ١٠٤ عـــن أنس أن الرسول ﷺ كُسرت رباعيته يوم أحد ، وشُجَّ في رأسه ، فجعل يسلت الدم عنه ويقول : «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ، وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله» فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ .

(٦) قال القاضي عياض في الشـــفاء ٢/ ٨٦٣ عن بعض المحققين : «وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة ، إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس ، وأمَّا بواطنهم فمنزَّهة غالباً من ذلك ، معصومة منه ، متعلقة بالملأ الأعلى والملائكة لأخذهم عنهم وتلقيها الوحي» .

واختلفوا في معنى (الفلق) ، فالأكثرون على أنه الصبح ، وهو قول جابر[١] ، وسعيد بن جبير[٢] ، (والحسن[٣] ، وعكرمة[٤] ، ومجاهد[٥] ، وقتادة[٦] ، وابن عباس ، وفي رواية عطاء[٧] ، وعطية[٨])[٩] .

(١) جامع البيان ٣٠/ ٣٥٠ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٩٢ب ، والنكت والعيون ٦/ ٣٧٤ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٥٤ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٣٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٣ .

(٢) ورد في المراجع السابقة عدا النكت ، وانظر أيضاً : المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٨ ، وتفسير سعيد بن جبير ٣٨٣ .

(٣) الكشف والبيان ١٣/ ١٩٢ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٤٧ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٣٨ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٥٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٣ ، وتفسير الحسن البصري ٢/ ٤٤٥ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٨ .

(٥) جامع البيان ٣٠/ ٣٥٠ ، وتفسير مجاهد ٧٦١ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٩٢ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٧ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٣٨ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٥٤ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٣٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٣ .

(٦) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٤٠٨ ، وجامع البيان ٣٠/ ٣٥٠ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٧ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٣٨ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٣ .

(٧) لم أعثر على مصدر لقوله من طريق عطاء .

(٨) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٣٥٠ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٩٢ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٧ ، وذكرت رواية ابن عباس من غير بيان طريقها في البحر المحيط ٨/ ٥٣٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٣ ، والدر المنثور ٨/ ٦٨٨ ، وهذا القول رجَّحه الطبري ، وابن كثير ، والبخاري في صحيحه ، ونسبه الفخر إلى أكثر المفسرين في التفسير الكبير ٣٢/ ١٩٠ .

(٩) ورد في (أ) بلفظ : (وجماعة) بدلاً مما بين القوسين .

(وقال في رواية الوالبي : يعني الخلق[١] . وهو قول الضحاك[٢] ، ومقاتل[٣])[٤] .

وروى (مهاجر الشامي[٥][٦] عن رجل (من)[٧] أصحاب النبي ﷺ ، قال : «الفلق بيت في النار إذا فُتح صاح أهل النار من شدة حرِّه»[٨] ، وهو قول السُّدِّي ، قال : «جُبٌّ في جهنم»[٩] .

---

(١) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٣٥١ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٩٢ب ، وحاشية معالم التنزيل ٤/ ٥٤٧ ، ولباب التأويل ٤/ ٤٢٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٣ ، والدر المنثور ٨/ ٦٨٩ منسوباً إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وصحيفة علي بن أبي طلحة ٥٤٤ .

(٢) الكشف والبيان ١٣/ ١٩٢ب ، وانظر : النكت والعيون ٦/ ٣٧٤ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٣ .

(٣) تفسير مقاتل ٢٥٧ب .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) مهاجر الشامي : مهاجر بن أبي مسلم ، واسمه دينار الشامي الأنصاري ، روى عن تُبيع الحميري ابن امرأة كعب الأحبار ، وعنه ابناه محمد ، وعمرو مقبول من الثالثة . انظر : كتاب الثقات ٥/ ٤٢٧ ، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٥٨٢ ت ٦٢١٧ ، وتقريب التهذيب ٢/ ٢٧٨ ت ١٤١١ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) وردت الرواية عن كعب الأحبار في بحر العلوم ٣/ ٥٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٣ ، وفي الكشف والبيان ١٣/ ١٩٢ب من طريق هشيم بن العوام عن عبدالجبار الحولاني ، عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، وفي الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٥٤ عن أُبي بن كعب ، وفي البحر المحيط ٨/ ٥٣٠ منسوباً إلى أحد الصحابة ، وقد أورد ابن كثير الرواية منسوبة إلى ابن أبي حاتم ، وأسندها أيضاً إلى عمرو بن عبسة ، وابن عباس ، والسُّدِّي ، وزيد بن علي عن آبائه ، قال : «وقد ورد في ذلك حديث مرفوع منكر إسناده غريب ولا يصح رفعه» . وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٧/ ٥٠٥ : «وأمَّا مَن قال : إنه واد في جهنم ، أو شجرة في جهنم ، أو إنه اسم من أسماء جهنم ، فهذا أمر لا تُعرف صحته ، لا بدلالة الاسم عليه ، ولا بنقل عن النبي ﷺ ، ولا في تخصيص ربوبيته بذلك حكمه بخلاف ما إذا قال : رب الخلق ، أو رب كل ما انفلق ، أو رب النور الذي يظهر على العباد بالنهار ، فإن تخصيص هذا بالذكر ما يظهر به عظمة الرب المستعاذ به» .

(٩) ورد في الكشف والبيان ١٣/ ١٩٣أ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٣٠ منسوباً إلى أحد التابعين ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٣ .

وقال (أبو عبدالرحمن)[١] الحُبُلي[٢] : «الفلق : اسم من أسماء جهنم»[٣] .
(هذا قول المفسرين)[٤] .

وقال أبو إسحاق : «الفلق الصبح وبيانه ، يقال : هو أبين من فلق الصبح»[٥] .

قال : «وقيل الفلق : الخَلْق قال الله تعالى : ﴿فَالِقُ (ٱلْإِصْبَاحِ)[٦]﴾ [الأنعام :٩٦] ، ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام :٩٥] ، وكذلك فلق الأرض بالنبات ، والسحاب بالقطر ، وإذا تأملت الخلق تبين لك أن أكثره عن[٧] الانفلاق ، فالفلق جميع المخلوقات ، وفلق الصبح من ذلك»[٨] .

وروى عمرو عن أبيه : «الفلق جهنم ، والفلق بيان الصبح»[٩] .

٢. وقوله : ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : «يريد إبليس خاصة ؛ لأن الله ـ تعالى ـ (لم)[١٠] يخلق خلقاً هو شر منه»[١١] .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) أبو عبد الصمد الحُبُلي : عبدالله بن يزيد المعافري ، أبو عبدالرحمن الحُبُلي المصري وعن ابن سعد الجبلي بالجيم ، روى عن عبدالله بن عمر ، ثقة من الثالثة ، توفي سنة ١٠٠ هـ بإفريقية . انظر : الطبقات الكبرى ٧/ ٥١١ ، وتهذيب الكمال ١٦/ ٣١٦ ت ٣٦٦٣ ، وتقريب التهذيب ١/ ٤٦٢ ت ٧٤٩ .

(٣) ورد قوله في جامع البيان ٣٠/ ٣٥٠ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٩٢ب ، والنكت والعيون ٦/ ٣٧٤ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٥٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٣ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) هذا من أمثلة العرب . انظر : جمهرة الأمثال ١/ ٢٠٥ ، رقم ٣٤٨ ، ومجمع الأمثال ١/ ٢٠٨ ، رقم ٥٩٧ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) في (أ) : (على) .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٧٩ .

(٩) ورد في تهذيب اللغة ٩/ ١٥٧ برواية : (ثعلب عن عمرو عن أبيه) .

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١١) ورد في التفسير الكبير ٣٢/ ٩٢ ، وورد نحوه غير منسوب في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٥٦ ، =

وقال الكلبي : «يريد من شر كل ذي شر»[١] .

وقال مقاتل : «من شر ما خلق من الجن والإنس»[٢] .

٣. (قوله)[٣] : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ . قال ابن عباس : «الغاسق : الليل»[٤] . يريد إذا أقبلت ظلمته من المشرق فدخل في النهار .

وقال مقاتل : «يعني ظلمة الليل إذا دخل سواده في ضوء النهار»[٥] ، وهو قول الحسن[٦] ، . . . ومجاهد[٧] ، (ومحمد بن كعب[٨])[٩] ، قالوا : «يعني الليل إذا أقبل ودخل» .

= ولباب التأويل ٤/ ٤٣٠ ، وورد بمثله عن الحسن ، وثابت البناني . انظر : تفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٣ .

(١) ورد في بحر العلوم ٣/ ٥٢٦ ، وورد نحوه غير منسوب في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٥٦ ، ولباب التأويل ٤/ ٤٣٠ .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد نحوه غير منسوب في لباب التأويل ٤/ ٤٣٠ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٣٥١ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٩٣أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٧ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٥٦ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٣٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٣ ، والدر المنثور ٨/ ٦٨٨ منسوباً إلى الطستي .

(٥) تفسير مقاتل ٢٥٧ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٧ ، وتفسير المعوذتين لابن القيم ٤٥ .

(٦) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٤٠٨ ، وجامع البيان ٣٠/ ٣٥١ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٩٣أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٧ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٤ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٣٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٣ ، وتفسير الحسن البصري ٢/ ٤٤٦ .

(٧) ورد في تفسير الإمام مجاهد ٧٦١ ، والجامع الصحيح للبخاري في كتاب التفسير ، باب (١١٣) ٣٠/ ٣٣٤ ، والمصادر السابقة ما عدا تفسير عبدالرزاق .

(٨) جامع البيان ٣٠/ ٣٥١ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٩٣أ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٣ .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

قال الفرَّاء : «الغاسق : الليل . (إذا وقب) ؛ إذا دخل في كل شيء ، يقال : غسق وأغسق ، إذا أظلم»[١] ، ونحو هذا قال أبو عبيدة[٢] ، وأنشد لابن الرقيات :

إنَّ هَذا الليلَ قَدْ غَسَقَا واشْتَكَيْتُ الهَمَّ والأرَقَا[٣]

وقال الزَّجَّاج : «يعني به الليل إذا دخل» ، قال : «وقيل : الليل غاسق ؛ لأنه أبرد من النهار ، والغاسق البارد»[٤] .

والغاسق[٥] على قول الفرَّاء : المظلم ، وعلى قول الزَّجَّاج معناه :(في اللغة)[٦] البارد[٧] .

وذكرنا الكلام في الأصلينِ عند قوله : ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾[٨] وقوله : ﴿حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ﴾ [ص :٥٧] .

---

(١) ورد في معاني القرآن ٣/ ٣٠١ بتصرف يسير .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) ورد البيت في ديوانه ١٨٧ ، طبعة دار بيروت ، ولسان العرب (غسق) ١٠/ ٢٨٨ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٣٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٥٦ ، وفتح القدير ٥/ ٥٢٠ .

(٤) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٧٩ بتصرف يسير .

(٥) في (ع) : (فالغاسق) .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) لا تنافي بين القولين ؛ فإن الليل بارد مظلم ، فمَن ذكر برده فقط أو ظلمته فقط اقتصر على وصفه ، والظلمة في الآية أنسب لمكان الاستعاذة ، فإن الشر الذي يناسب الظلمة أولى بالاستعاذة من البرد الذي في الليل ، ولهذا استعاذ برب الفلق الذي هو الصبح والنور من شر الغاسق الذي هو الظلمة ، فناسب الوصف المستعاذ به المعنى المطلوب بالاستعاذة ، قاله ابن القيم في تفسير المعوذتين ٤٥ .

(٨) عند قوله تعالى : ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء ٧٨] ، ومما جاء في تفسير الغسق الوارد في هذه الآية : «غسق الليل : سواده وظلمته» ، وقال آخرون : «غسق الليل دخول أوله وأتيته حيث غسق الليل ؛ أي حين يختلط وتسد المناظر ، وأصل هذا الحرف من السيلان يقال : غسقت العين تغسق وهو هملان العين بالغمص ، والماء والغاسق السائل . ومن هذا قيل لما يسيل من أهل النار : الغساق ، فمعنى غسق الليل ؛ أي انصبت بظلامه ، وذلك أن الظلمة تنزل من فوق» . وأمَّا قول المفسرين ، فقال ابن عباس : «غسق الليل : اجتماع الليل وظلمته» ، ولعطاء : «أوله حين يدخل» ، وعن ابن مسعود : «إظلام الليل» . وعن ابن عباس : «دخول الليل بظلمته» . انظر : البسيط .

وقال غيرهما[١] : «الغاسق : السائل من قولهم : غسقت العين تغسق غسقاً ، إذا سالت بالغمص والماء .

وسُمِّي الليل غاسقاً ، لانصباب ظلامه على الأرض .

وإنما أمر أن يتعوذ من شر الليل ؛ لأن الليل تخرج السباع من آجامها[٢] والهوام[٣] من مكامنها ، وتبعث أهل الشر[٤] على العبث والفساد ، فينبت الضرر على الخلق إلَّا مَن أعاذه الله»[٥] .

وذكر المفسرون في تفسير هذه الآية[٦] ما روى أبو سلمة عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ[٧] أخذ بيدها[٨] ، وأشار إلى القمر ، وقال : «استعيذي بالله من شر هذا ، فإنه الغاسق إذا وقب»[٩] .

---

(١) أبو زيد كما في تهذيب اللغة (غسق) ١٦/ ١٢٧ .

(٢) آجامها : الأجمة الشجر الكثير الملتف ، والجم أجمٌ ، وأُجُم ، أُجَمٌ ، وآجام وإجام . انظر : لسان العرب (أجم) ١٢/ ٨ .

(٣) الهوام : جمع الهامَّة ، ولا يقع هذا الاسم إلّا على المخوف من الأحناش . انظر : الصحاح (هوم) ٥/ ٢٠٦٢ .

(٤) (وتبعث أهل الشر) غير واضح في (ع) .

(٥) قال بذلك ابن عباس ، والضحاك ، وقتادة ، والسُّدِّي . انظر : النكت والعيون ٦/ ٣٧٥ .

(٦) (هذه الآية) بياض في (ع) .

(٧) (أن رسول الله ﷺ) بياض في (ع) .

(٨) بياض في (ع) .

(٩) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٦١ ، ٢٠٦ ، ٢٣٧ ، والترمذي في السنن ، باب (٩٤) ٥/ ٤٥٢ ح ٣٣٦٦ من طريق أبي سلمة عن عائشة ، وقال أبو عيسى : «هذا حديث حسن صحيح» ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٤٧ ، وصحَّحه ، ووافقه الذهبي . وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٧٤١ : «إسناده حسن» ، وأخرجه ابن الجزري في جامع الأصول ٢/ ٤٤٥ ح ٨٩٨ ، وقال الأرناؤوط : «وإسناده قوي» ، وأخرجه أبو عبيدة في غريب الحديث ١/ ٣١٣ ، والطبري في جامع البيان ٣٠/ ٣٥٢ ، والسيوطي في الدر ٨/ ٦٨٩ منسوباً إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ في العظمة ، وابن مردويه ، وانظر : كنز العمال ٢/ ١٥ ح ٢٩٥٥ . قال الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٥٢٠ : «وهذا =

قال ابن قتيبة : «الغاسق : القمر سُمِّي به ؛ لأنه يكسف فيغسق ؛ أي يذهب ضوؤه ويسود قال : ومعنى قوله ﷺ لعائشة : «تعوذي بالله من شر هذا» ؛ أي من مر شره (إذا وقب) ؛ إذا دخل في الكسوف»[(١)] .

قال الأزهري : «هذا حديث غير صحيح ، والصواب في تفسير هذه الآية : من شر الليل إذا دخل ظلامه في كل شيء»[(٢)] .

وقال ابن زيد : «يعني الثريا إذا سقطت» ، قال : «وكانت الأسقام تكثر عند وقوعها ، وترتفع عند طلوعها»[(٣)] . وعلى هذا ، سُمِّي الثريا غاسقاً ، لانصبابه عند وقوعه في المغرب . ووقوبه[(٤)] : دخوله إذا غاب عن الأعين ، فلم يُرَ ، يقال :

= لا ينافي قول الجمهور ، لأن القمر آية الليل ولا يوجد له سلطان إلَّا فيه ، وهكذا يقال في جواب مَن قال : إنه الثريا» .

(١) تهذيب اللغة (غسق) ١٦/ ١٢٨ ، ١٢٩ ، وانظر : تفسير غريب القرآن ٥٤٣ . فالإمام الواحدي نقل عبارة ابن قتيبة من التهذيب ، وأمَّا تفسيره فلم أجد عند ابن قتيبة ذكراً لحديث عائشة ، والله أعلم . وقد ردَّ ابن تيمية أيضاً تفسير ابن قتيبة في مجموع الفتاوى ١٧/ ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، فقال : «وهذا القول من ابن قتيبة ضعيف ؛ فإن ما قال رسول الله ﷺ لا يعارَض بقول غيره ، وهو لا يقول إلَّا الحق ، وهو لم يأمر عائشة بالاستعاذة منه عند كسوفه بل مع ظهوره ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ فالقمر آية الليل ، وكذلك النجوم إنما تطلع فتُرى بالليل ، فأمره بالاستعاذة من ذلك أمر بالاستعاذة من آية الليل ، ودليله وعلامته ، والدليل مستلزم للمدلول ، فإذا كان شر القمر موجود فشر الليل موجود ، وللقمر من التأثير ما ليس لغيره فتكون الاستعاذة من الشر الحاصل عنه أقوى . . . فالقمر أحق ما يكون بالليل بالاستعاذة ، والليل مظلم تنتشر فيه شياطين الإنس والجن ما لا تنشر بالنهار . . . فالشر دائماً مقرون بالظلمة» .

(٢) ورد في تهذيب اللغة ١٦/ ١٢٩ باختصار يسير .

(٣) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٣٥٢ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٩٣أ-ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤٧ مختصراً ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٣٨ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٤ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ١٩٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٥٧ ، ولباب التأويل ٤/ ٤٣٠ غير منسوب ، والبحر المحيط ٨/ ٥٣١ مختصراً ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٣ ، وفتح القدير ٥/ ٥٢٠ ، ومجموع الفتاوى ١٧/ ٥٠٦ .

(٤) في (ع) : (ووقوه) .

وقب يقب وقوباً إذا دخل ، والوقبة النُّقْرة ؛ لأنه يدخل فيها ، والإيقاب : إدخال الشيء في الوَقْبة[١] .

٤. قوله تعالى : ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ ؛ يعني السحرة ، والسواحر .

ومعنى النفث : النفخ ، وكانت العرب ترقي به إذا رقت ، وأنشد (أبو عبيدة)[٢] لعنترة[٣] :

فإنْ يَبْرَأْ فلمْ أَنْفِثْ عَلَيْهِ وإنْ يَفْقَدْ فَحُقَّ لهُ الفُقُودُ[٤][٥]

وقال (أبو عبيد)[٦] : «النفث بالفم شبيه بالنفخ»[٧] .

وقال أبو إسحاق : «تنفث ، وتتفل بلا ريق كأنه نفخ كما يفعل كل مَن يرقي»[٨] .

والعقد : الأخذ[٩] ، جمع عقود من عقد يعقد .

---

(١) انظر فيه : تهذيب اللغة (وقب) ٩/ ٣٥٤ ، ومقاييس اللغة ٦/ ١٣١ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) في (ع) : (قول عنترة) بدلاً من (لعنترة) .

(٤) ورد قوله في ديوانه ٢٨٣ ، تحقيق محمد مولوي ، والكشف والبيان ١٣/ ١٩٣ب ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٥٧ . والمعنى : فإن يبرأ : يريد جريه ، يقول : إن يفق من تلك الطعنة فيتأخر أجله ، فإني ما رقيته ، ولا نفثت عليه ، وإن يفقد ؛ أي يمت فحق له ذلك ، فقد مات مَن هو خير منه . ويحتمل أنه يريد : فحق له الموت من شدة الطعنة ، وأن مثلها لا يبرأ منها .

(٥) مجاز القرآن ٢/ ٣١٧ .

(٦) (أبو عبيدة) في كلتا النسختين ، والصواب ما أثبته لنقل الإمام الواحدي قول أبي عبيدة عن تهذيب اللغة .

(٧) تهذيب اللغة (نفث) ١٥/ ١٠٣ ، وانظر : لسان العرب (نفث) ٢/ ١٩٥ .

(٨) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٧٩ بنصه .

(٩) يراد بالأُخذة : الكلام الذي يقوله الساحر ، وقيل خرزة يرقى عليها ، أو هي الرقية نفسها ، قاله ابن حجر في فتح الباري ١٠/ ٢٣٣ ، وانظر : القاموس المحيط (أخذ) ١/ ٣٥٠ .

قال مقاتل : «يعني السحرة ، والأُحْذة ينفثن في العقد والأُخذ»[١] .

وقال (عطاء عن)[٢] ابن عباس : «يريد السحرة الذين عقدوا السحر للنبي ﷺ[٣] ، وإنما أتى على لفظ جمع الإناث لتأنيث الجماعات نحو ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ ، ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ﴾ ، ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ﴾[٤] ، ومثل ذلك كثير في التنزيل ومعناه الجماعات» . وقال صاحب النظم : «إنما أنَّث[٥] النفاثات من بنات لبيد بن أعصم اليهودي سحرن النبي ﷺ»[٦] .

---

(١) تفسير مقاتل ٢٥٧ب .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) الوسيط ٤/ ٥٧٤ .

(٤) سورة الصافات ، والآيات كاملة : ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات :١-٣] .

(٥) (إنما أنَّت) غير مقروءة في نسخة (ع) .

(٦) هكذا وردت عبارة صاحب النظم في كلتا النسختين ، ولم أعثر عليه في ما لدي من مصادر ، وقد ورد نحوه في زاد المسير ٨/ ٣٣٤ منسوباً إلى المفسرين ، وهذا القول : «إن النفاثات هنَّ بنات لبيد ليس بسديد ، لأن الذي سحر النبي ﷺ هو لبيد بن عاصم ، وليس بناته كما جاء ذلك في الصحيح» . والجواب المحقق أن النفاثات هنا هنَّ الأرواح ، والأنفس النفاثات لا النساء النفاثات ؛ لأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة والأرواح الشريرة ، وسلطانه إنما يظهر منها ، فلهذا ذُكرت النفاثات هنا بلفظ التأنيث دون التذكير ، والله أعلم ، قاله ابن القيم في تفسير المعوذتين ٥٣ ، ٥٤ ، تحقيق مصطفى العدوي .
وأمَّا ابن تيمية فقال في مجموع الفتاوى ١٧/ ٥٠٧ : «وخص من السحر النفاثات في العقد ، وهن النساء ، والحاسد الرجال في العادة ، ويكون من الرجال ومن النساء ، والشر الذي يكون من الأنفس الخبيثة من الرجال والنساء هو شر منفصل عن الإنسان ليس هو في قلبه كالوسواس الخناس» .

٥. قولـــه : ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ . قال ابن عباس[١] ومقاتل[٢] : «يريد اليهود حســـدوا النبي ﷺ» ، وقال الفـــرَّاء : «يعني لبيداً الذي حسده»[٣] .

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) ورد في تفسير مقاتل ٢٥٧ب ، وقد ورد نحوه غير منسوب في لباب التأويل ٤/ ٤٣٠ .

(٣) ورد في معاني القرآن ٣/ ٣٠١ بتصرف .